



■ الولادة

وُلد في عام ١٣١٣ هجري شمسي (الموافق لعام ١٣٥٣ هجري قمري)، في أسرة دينية في حي إمام زاده إسماعيل بأصفهان. كان والده آية الله الحاج السيد مصطفى فقيه إيماني وجده آية الله الحاج كاظم من كبار علماء أصفهان.

■ التعليم والأساتذة

دخل السيد كمال فقيه إيماني وهو في الخامسة عشرة من عمره مدرسة "جدة الكبرى" بأصفهان؛ وهي مدرسة كانت مركزاً لدراسة وتدريس الكثير من العلماء والأعلام. درس كتاب "جامع المقدمات" على يد الشيخ محمد حسن النجف آبادي، ودرس "المطول" بإشراف آية الله الأديب. وفي نفس المدرسة، عاش تجربة السكن الطلابي وتابع الدراسة والحياة الدينية في حجرة والده وخاله.

وعلى هذا النحو، وجد لنفسه رفاقاً للمباحثة. كان الحاج أحمد الإمامي وإبراهيم الأميني من زملاء الدراسة والمباحثة للسيد كمال. أكمل السيد كمال دراسة "المغني" في أصفهان، وبعد إتمام المقدمات في مدرسة جدة، توجه إلى قم. عند دخوله قم ذهب إلى مدرسة دار الشفاء، وأكمل تنمية المغني عند الحاج الشيخ مصطفى الذي كان من أهل أذربيجان، ثم درس شرح اللمعة عند كبار العلماء أمثال السيد الخليلي والباقر.

قضى السيد كمال سنواته الأولى في مدرسة دار الشفاء مع أخيه الأكبر في نفس الحجرة، ثم انتقل إلى مدرسة الفيزيعة ليكون مع كبار أمثال أحمدي الكلبايكاني ومحمد جواد باهنر.

استفاد السيد كمال خلال دراسته في الحوزة من حضور دروس أساتذة آخرين، وانتقل بين مدارس عدة مثل مدرسة الحجيتيه، الفيزيعة، دار الشفاء، ومدرسة خان. كما تلمذ على أيدي علماء كبار مثل آية الله النوري الهمداني، الحاج الشيخ عبد الجواد الأصفهاني، آية الله مجاهدي التبريزي، آية الله الطباطبائي، آية الله السلطاني وآية الله المشكيني وآية الله داماد وآية الله العظمى البروجردي. كما استفاد من دروس الخارج عند الإمام الخميني وآية الله العظمى الكلبايكاني.

■ التدريس والتبليغ

عاد آية الله فقيه إيماني إلى أصفهان بعد وفاة والده وبدأ خدماته الواسعة في مجال التبليغ والتعليم الديني.

■ النشاطات الثقافية والعمرانية

كان آية الله الحاج السيد كمال فقيه إيماني مصدرًا لخدمات وأثر كبير في المجالات العمرانية والاجتماعية والثقافية والطبية، ومنها:

إعداد وتأليف "نور القرآن في تفسير القرآن"، إنشاء مكتبة كبيرة وغنية بالكتب القيمة باسم "مكتبة أمير المؤمنين" ومركز للأبحاث والدراسات العلمية، تأسيس الحوزة العلمية في أصفهان باسم دار الحكمة باقر العلوم، البحث، الطباعة، ونشر الكتب القيمة في هذا المركز الشيعي وإرسالها إلى أنحاء العالم، تأسيس مستشفى الإمام الحسين، والمركز التخصصي للأمراض المعدية، رحلات تبليغية إلى خارج البلاد، منها هولندا وبلجيكا والكويت والعراق ولبنان والبوسنة وباكستان وغيرها.

■ الوفاة

وأخيرًا، توفي المؤسس البارز للأعمال الخيرية والاجلجية والثقافية في أصفهان، بعد مكوته في مستشفى عسكرية أصفهان بسبب أمراض الرئة والكلى المزمنة، عند غروب يوم الجمعة ١١ محرم الحرام ١٤٣٣.

مواجهة الشهيد الثاني للتيارات الفكرية والعقائدية المنحرفة

■ الشيخ أحمد ترابي

المجتمعات وسقوطها أو ارتفاعها وسموها.

وعلي كل حال، شهد القرن الثامن الهجري إحصاراً من حركة التصوف في الأوساط الشيعية والسنية معاً، واكتسب رونقاً خاصاً به آنذاك. وقد حمل معنيين، أولهما: مخالفة النفس وهواها، والرغبة في الزهد والقناعة، والميل نحو المعرفة القلبية، وثانيهما: الهوس بالتمنيات الروحية، والتطرف في قمع النفس والتعلق المادي والإفراط في النزوع نحو الأفكار الروحية، وتأسيس فرق لها القدرة على إقامة البراهين العجيبة، وادعاء الكشوفات الروحية، والكرامات وسائر البدع الأخرى.

ومن هنا كانت نظرة الشهيد الأول للفظلة التصوف إيجابية لو كانت بالمعنى الأول، أمّا لو كانت الثانية فقد نقدها وأنكرها بشدة. ولذا ذكر في كتابه الدروس براهين العجيبة، وادعاء علي النحو الإيجابي فقال: «والصوفية هم المشتغلون بالعبادة، المعرضون عن الدنيا». (الدروس، ج ٢، ص ٣١٥).

كما أشار في بعض أشعاره المنسوبة إليه إلي المعني الثاني، وانتقدها، كقوله:

بالشوق والذوق نالوا عزة الشرف لا بالدلوف ولا بالغجب والصلف وقوله:

ليس التصوف عكازاً ومسبحةً كلا ولا الفقر رؤياً ذلك الشرف وقوله أيضاً:

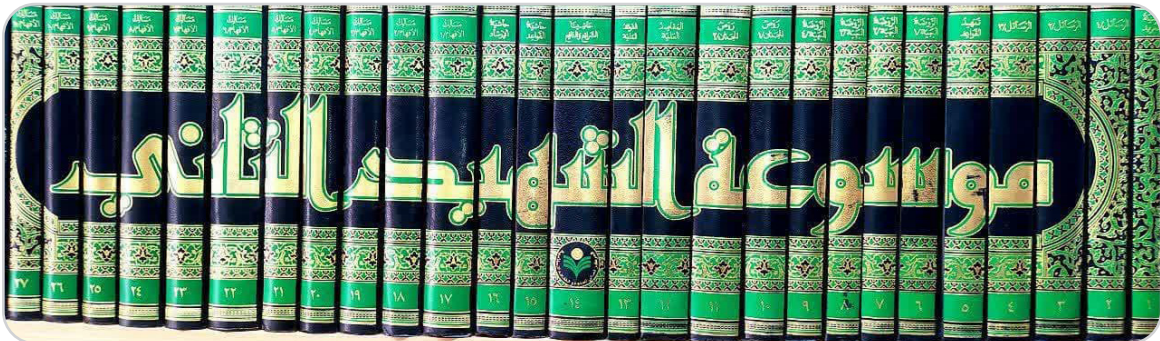
وأن تروح وتغدو في مرقعة وتحثو موبقات الكبر والسرف وقوله أيضاً:

وتظهر الزهد في الدنيا وأنت علي عكوفها كعكوف الكلب في الجيف

وغيرها من الأشعار والأبيات التي لاقت صدىً واسعاً بين أتباعه ومريديه، وأثرت في جميع من حوله من الناس والتابعين، فجاء أكثها طيباً، وصار الناس يسخرون من أفعال وسلوك المتصوفة الذين وجدوا هذا الفكر وسيلة فعالة في تمرير مخططاتهم وأفكارهم المنكرة، وأسلوب مرجح لبلوغ المرام حيث كانت تضر بتعاليم الاسلام ورموزه، فراحوا يواجهمهم في الطرقات والسبل، ويناقشونهم بما لديهم من أفكار، فإذا وجدوها بغیضة وليست بشيء سخروا منهم امام الناس، حتي لم يجدوا بدأً من الرحيل والهرب، وإذا وجدوها علي العكس أكرمهم.

كل هذا بسبب مواجهة الشهيد الأول لهذا التيار، ومساهمته في استئصال شافته.

المصدر: موقع المؤتمر الدولي لتكريم الشهيدين



من كونه أحد علماء الاسلام والفقهاء المعروفين بالفقه الشافعي، وسعة إطلاعاه على سائر المذاهب، فسعي إلي جذب الحكومة بدمشق ورجالها إلي هذا الاتجاه.

وبالنتيجة فقد نجح الشهيد وبمساعدة سائر تلاميذه من حشد الحشود المقاتلة ودفعها إلي مناطق نفوذ اليالوشي وسحقه وأتباعه بالمرّة وإن كانت العملية صعبة للغاية، حيث فقد أكثر طلابه الذين سقطوا شهداء علي هذا الطريق.

وطبقاً للوثائق والشواهد الموجودة فإن الهجوم والمواجهة المسلحة قد طالت لأيام عديدة، وسقط فيها المئات من أصحاب وأتباع الشيخ الشهيد وقد دفنوا جميعاً في مقبرة تعرف إلي الآن بمقبرة الشهداء.

ومن يزور هذه المقبرة يجد عدداً من الأسماء الالامعة التي كانت تعدّ من تلاميذ الشهيد الأول وأتباعه، وقد بنيت عليها قباب واتخذ إلي جانبها مساجد، ومن جملتهم ضريح تعلوه قبة وإلي جانبه مسجد باسم مسجد محمد شاه، هو إلي الآن محل احترام وتجليل أهالي المنطقة، وبطنّي هذا الاسم - وهو فارسي - متعلق بأحد تلاميذ الشهيد الذي شدّ رحاله من خراسان طلباً للعلم حتي حلّ عند الشهيد الأول، وشاركه في نشاطاته حتي استشهد في هذه الواقعة، والملاحظ أنه قد أُرُخ لسنة وفاته وهي ٧٨٢ هـ أو ٧٨٤ هـ أي كانت شهادته بحدود سنتين أو أربع قبل استشهاده.

■ فتنة المتصوفة

لم تكن حركة التصوف، منذ ظهورها وإلي الآن، علي نسق واحد، بل إنها في بعض المفاصل الزمنية، وفي بعض المناطق كانت أقرب إلي تعاليم القرآن والسنة من غيرها من الحركات، بينما في مفاصل أخرى، وفي مناطق أخرى من العالم الإسلامي كانت أبعد من غيرها عن الوصي والتعاليم النبوية وسيرة أهل البيت.

ومن هنا كانت حركة التصوف تكتسب رونقاً باهراً أحياناً، وأخرى تفقد أشدّ الافتقاد، ولعلّ ذلك يعود إلي الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت تحيط ببلاد الاسلام، والعوامل النفسية والاخلاقية التي لعبت دوراً في انحدار بعض

أعلنه مقراً وقاعدة انطلاق حركته ومن هناك خطط لشنّ الحملات إلي سائر بقاع الأرض.

وقد وقع اختياره علي منطقة جبلية وسط مدينة «الزرارية» وبدأ ببناء قلعة حصينة له، وبرجاً هو إلي الآن معروف باسم برج بالوش.

لقد كان لهذا التيار أثر كبير في المحيط الشيعي، خاصة وأنّ مقرّ قاعدته كان يستقر في قلب منطقة شيعية، ممّا شكل تهديداً جدياً من جهة:

١. سرعة انتشار هذا التيار المنحرف إلي سائر المناطق.
٢. تحريف ذهنية الرأي العام الشيعي عن المعين الأصل.
٣. جز هذا التيار المتطرف المنطقة إلي نزاعات بين أهل السنة والشيعة.

■ موقف الشهيد من تيار اليالوشي

كان الأستاذ الأوّل مشغولاً آنذاك بتأسيس حوزة جزين العلمية، وبهدف حفظ العلاقات التي كانت قائمة بينه وبين المجامع العلمية بدمشق، سكن لمدة في دمشق واشتغل في البحث والمناقشة وحضور حلقات علماء أهل السنة وتوضيح ملامح الفقه الشيعي لتلك المجاميع والأوساط لأجل نشر و ترويج مذهب أهل البيت عليه ولو بصورة مبظنة، ولما أتمّ دوره في دمشق عزم علي الرجوع إلي لبنان و مواجهة فتنة اليالوشي حيث كانت تصله الأنباء حولها بصورة مستمرة.

لقد علم الشهيد أنّ مواجهة فتنة هذا الرجل ليست بالسهلة اليسيرة، وذلك لكثرة من أتبعه من أهالي القرى البسطاء، وحماية هؤلاء المستمينة له، لذا فقد وجد من الصعب تغيير عقيدة هؤلاء من جهة، وضعف وسائله الثقافية التي من شأنها التأثير فيهم، فكان من الضروري التفكير في إيجاد سبائري أبلغ تأثيراً من سابقه، وهو تهيئة عملية مواجهة مسلحة من خلال تسخير بعض القيادات السياسية والعسكرية في المنطقة، ممن رفضوا فكرة اليالوشي ودعوته المنحرفة، وإعلان الحرب عليه لكسر شوكلته واستئصالها بالكامل، وإلا فسوف يُبتلي الوضع بالتصعيد، وقد يجز المنطقة إلي حرب أهلية.

ومن هذا المنطلق حاول الشهيد استغلال موقعه العلمي في دمشق،

كونه نبياً مبعوثاً. إلا أنّ الثابت هو أنّ محمد يالوش هذا كان من يعدّ من تلاميذ الشهيد الأوّل. وبالتدرّج أخذ موقعه من محفل حضوره مع تلاميذ الشهيد حتّى اكتسب شهرة في ذلك.

وقد جاء في بعض المصادر أنّ قاضي القضاة بمصر وبسبب معرفته القديمة بشخصية الشهيد كان قد دعاه لزيارة مصر، وقد لبّي الشهيد دعوته واصطحب معه عشرة من تلاميذه، كان اليالوشي من ضمنهم، فشهد بأم عينه كيفية احتفال القاضي مع أهالي مصر بمجيء الشهيد وتكريمه. وقد أهدى القاضي في هذا السفر للشهيد مجموعة من الكتب النفيسة كهدية له، وكانت مجموعة فاخرة من الكتب المتنوعة تتناول عدداً من العلوم والمعارف والفنون، فقام الشهيد بتحميل كل تلميذ من تلاميذه عدداً منها لفرض استئصالها.

وكان قد عهد الشهيد إلي تلميذه اليالوشي كتاباً حول العلوم الغربية، ويتناول مسائل في مجال السحر كان قد جذب اهتمام هذا التلميذ بقوة، ولما علم الشهيد باهتمام اليالوشي أمر بترك هذا الأمر واتلاف الكتاب لما له من تأثير سيء عليه، إلّا أنه امتنع وعصي أستاذه في هذا المجال وصار يستنسخ منها بما لا مزيد عليه.

ولعلّ رفضه الانصياع لطلب أستاذه كان من جهة إحساسه بأنّه سوف يمتلك القدرة العجيبة في التعامل مع الأشياء المحيطة به كما كان يفعل المتصوفة في زمانه.

ومن هنا بدأت بوادر الانحراف تطغي علي أفعاله وسلوكياته، وصار يجمع الاتّباع من عوام الناس من خلال السيطرة علي حواسهم وعقولهم، ويريه أشياء عجيبة يحسبونها حقيقة، كأن يقف تحت المطر ثم يريهم أن ثيابه لم تبتل أبداً! ومن هنا بدأت الفتنة التي عرفت باسمه.

إنّ الاعمال التي كان يقوم بها هذا الشخص قد جذبت العوام الذين كانوا يقطنون القرى المحيطة بجبل عامل، وبشكل تدريجي بدأ صيته ينتشر بعدما وجد من يصغي إليه، ويدافع عنه من الناس.

وبعد انتشار وتوسع فتنته أخذ اليالوشي يجمع أنصاره في مكان واحد

■ مذكرة

الإنسانية و يقين العدل الآتي

ذلك اليوم العظيم، يوم يُسِط فيه العدل على وجه الأرض كلها، وتُرفع فيه راية القسط على كل شبر من المعمورة، وتُؤسّس فيه الحياة على أسس الإنصاف الإلهي. هذا الإيمان لا ينبع من آمنيات عاطفية، أو أحلام حائلة، بل هو عقيدة راسخة مستندة إلى مئات النصوص الموثوقة التي جاءت عن النبي الأعظم ﷺ والأئمة الطاهرين عليه، والتي بلغ تواترها حدّاً لا يُمكن لأي باحث منصف إنكاره أو التشكيك فيه.

والروايات التي تتحدث عن اليوم الموعود، وعن ظهور الإمام المهدي المنتظر ﷺ، تجسّد وعد الله لعباده،

فيه الضعيف، ويُجازى فيه الظالم مثلما يحدث اليوم في غزة حيث تتفشى جرائم القتل، وتعم المجاعة، وتتواصل الانتهاكات بحق النفس البشرية، ويُحرم الإنسان من نعمة الأمان، ولذا يهدف هذا التطلع الإنساني العام، ليس عبثاً، بل هو استعداد فطري لغد مشرق، يُعده الله للبشرية جمعاء.

وقد ركّزت تعاليم أهل البيت عليه على ترسيخ هذا الأمل، ليس فقط بوصفه حدثاً مستقبلياً، بل كمنهج حياة، يُعدّ الإنسان من خلاله ليكون جزءاً من مشروع العدل الإلهي. فالمهدي المنتظر ﷺ لا يظهر في فراغ، بل في بيئة تتطلّع للعدل، ويهيئ لها أنصاراً مؤمنين يهيئون الأرض لذلك اليوم الموعود، كما قال الإمام الصادق عليه «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم، فليتنظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر».

وتطمئن القلوب المتعبة، بأنّ هذا الليل الطويل لن يطول، وأنّ نور العدل آتٍ لا محالة. يقول النبي ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وإن هذا الحديث الشريف ليس مجرد تصريح، بل هو وعد رباني، يتكرّر في روايات شتى بطرق مختلفة، وتواترت مضمونياً في كتب المسلمين جميعاً، ما يُعطيه مصداقية تاريخية وعقائدية لا تُضاهى. وإن إيماننا بأن البشرية ستصل إلى تلك المرحلة ليس رجماً بالغيب، ولا تعويلاً على خرافة، بل هو إيمان بموعود إلهي، له علانته، وله فلسفته، وله جذوره في الفطرة والتاريخ. فقد خلق الله الإنسان وهو يحن إلى العدل، ويتالم للجور، ويطمح إلى عالم يُحترم

وإننا اليوم، وسط أمواج الفتن، وسقوط القيم، وانكفاء العدالة، بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى إعادة إحياء هذا اليقين. فالإيمان بظهور العدل، لا يجعلنا متواكلين، بل يمنحنا أملاً يدفعنا للبذل والإصلاح، والتמיד لذلك اليوم الذي وعد الله به عباده، وتعهّد به أنبياءه، وأكّده أئمته الطاهرون عليه.

فلا مجال للشك في مجيء يوم يُشرق فيه العدل، ويعم فيه القسط، لأنّ الأحاديث التي بشرتنا بذلك هي من الكثرة والثبوت بمكان، يجعلها تقطع طريق الشك، وتفتح أبواب اليقين. وإنّه لا تٍ لا محالة، يوم يسجد فيه التاريخ للعدل بعد طول انحناء أمام الجور، وتعلن فيه نهاية لزمان الظلم، وبداية لعصر النور والكرامة الإنسانية.

الكاتب والباحث: الشيخ حسين التميمي